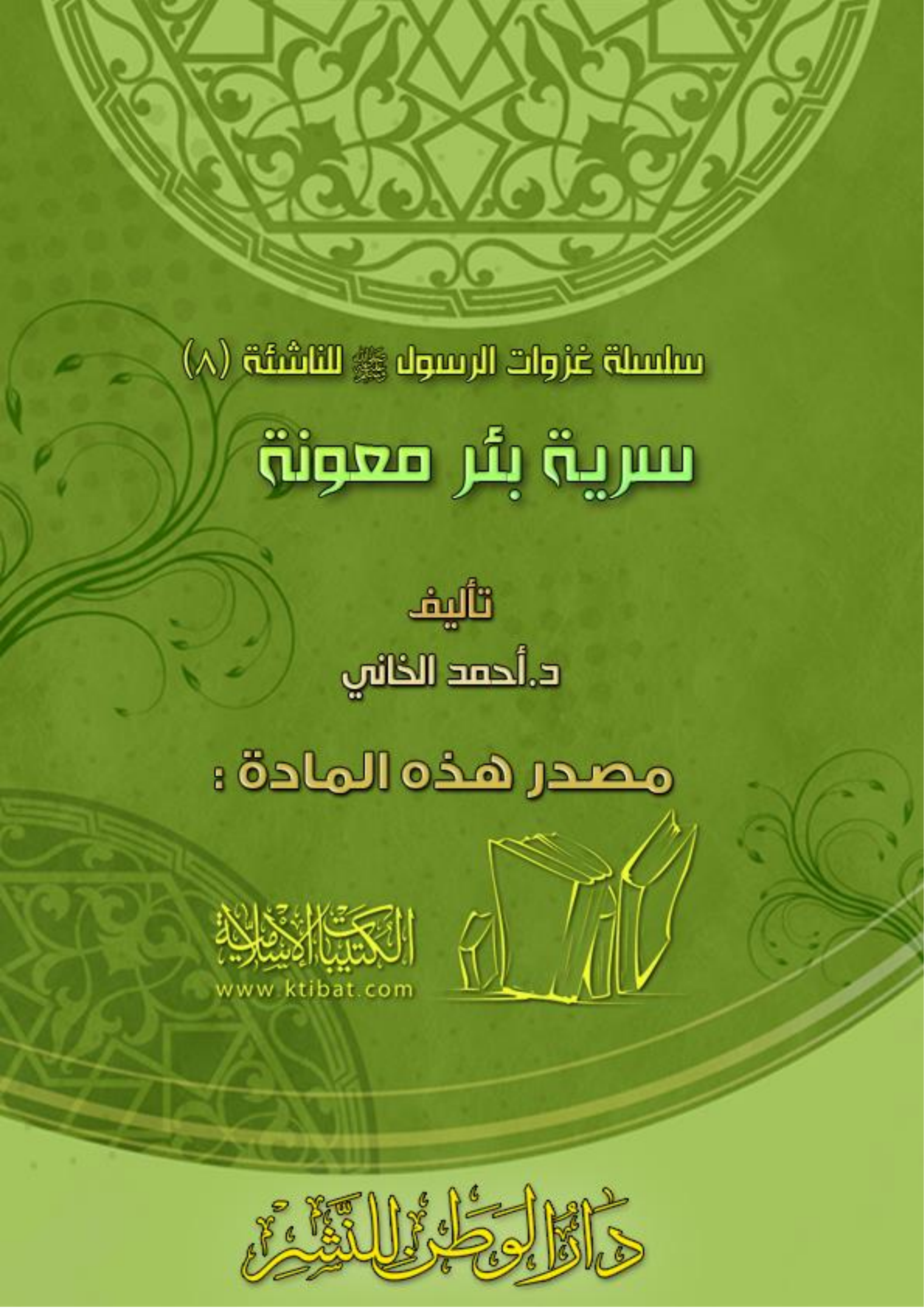


سلسلة غزوات الرسول ﷺ للناشئة (٨)
سرية بئر معونة
تأليف
د.أحمد الخاني
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ وأولاده

وكان من عادةِ الشيخِ أن يجتمَع كلَّ مساءٍ مع أولادِهِ وأفرادِ عائلتِهِ، ويقرأُ واحدٌ منهمْ بعضَ الآياتِ الكريمةِ، ويقومُ الشيخُ بتفسيرِها، ثم يقصُّ عليهمْ قصةً من سيرةِ رسول الله ﷺ.

اجتمعَ شملُ الأسرة بشوقٍ بالغٍ إلى هذهِ الجَلسةِ التي بها يحسونَ في نفوسهمُ الراحةَ والطمأنينةَ، ونظرتِ العائلةُ إلى الشيخِ ليأذنَ لابنِهِ القارئِ بعيونٍ كلها شوقٌ إلى ما سيأتي.

نظرَ الشيخ إلى ولدِه، وأنظارُ الولدِ متعلقةٌ بوالدِه، وأومأ برأسِهِ، فشرعَ القارئُ يرتلُ بصوتِهِ الرخيمِ الحنونِ: أعوذُ بالله من الشيطانِ الرجيم:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 214].

صمتَ عبدُ الرحمن، والشيخُ مطرقٌ برأسِهِ قليلًا، والأولادُ كأنما على رؤوسهمُ الطير.

رفع الشيخ رأسه وقال: هيا يا أولادي، اذهبوا الآنَ إلى النوم.

عبد الرحمن: يا أبي كأنكَ نسيت.

الأب: نسيتُ ماذا يا ولدي؟

عبد الرحمن: نسيتَ أن تقصَّ علينا قصةً من سيرةِ الرسولِ ﷺ.

الشيخ: سأقصُّ عليكمُ اليومَ قصةَ القُرّاءِ في سَرِيَّةِ بِئرِ معونةَ.

عبد الرحمن: أتأذنُ لي يا أبي؟

الشيخ: قل، وباركَ اللهُ فيكَ يا بني.

عبد الرحمن: يا أبي أنتَ تقصُّ علينا كلَّ يومٍ من غزواتِ الرسول ﷺ، فهل قصةُ هذا اليوم كذلك؟

الشيخ: سأقصُّ عليكمْ هذا اليومَ قصةَ القراءِ في سريةٍ بعثها الرسول ﷺ.

عبد الرحمن: وهلْ هناكَ فرقٌ بين الغزوةِ وبينَ السريةِ يا أبي؟

الشيخ: الغزوة هي التي شهدها الرسول ﷺ بنفسِهِ الكريمةِ، والسرية لم يشهدها ﷺ، فهل أبدأ يا أولادي؟

صاحَ الأولاد كلُّهم بصوتٍ واحدٍ: نعم يا أبي.

القراءُ السبعون

الشيخ: قالَ أهلُ السِّيَرِ والتاريخِ منهم محمدُ بنُ إسحاقَ من كتَّابِ السيرِ، وابنُ كَثيرٍ من كتابِ التاريخِ، قال البخاري: أن رسول الله ﷺ بعثَ خالَهُ — واسمُه حرامٌ أخًا لأمِّ سُليمٍ — في سبعينَ راكبًا، وكان رئيسُ المشركينَ عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ خيّرَ رسولَ الله ﷺ بين ثلاثِ خصالٍ؛ فقالَ: يكونُ لكَ أهلُ السهلِ ولي أهلُ المدَرِ، أو أكونُ خليفَتكَ، أو أغزَوك بأهل غطفان بألف ألف.

قتلى على بئرِ معونةَ:

فانطلقَ حرامٌ أخو أم سُليم هو ورجلٌ أعرجُ ومعه رجلٌ آخر، فقال: كونا قريبًا حتى آتيَهم، فإن أمَّنوني كنتمْ قريبًا مني، وإن قتلوني أتيتم أصحابَكم. فذهبَ فقال: أتؤمنونني حتى أبلِّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ ؟ فجعلَ يحدِّثهم، وأومؤوا إلى رجلٍ فأتاهُ من خلفهِ فطعنهُ بالرمحِ، فقُتلوا كلهم غيرَ الأعرجِ، وكانَ في رأسِ جبل.

وأُسرَ عمرُو بنُ أمية الضمري، فقالَ له عامرُ بنُ الطفيل: مَن هذا؟ وأشارَ إلى قتيل.

فقال له عمرو: هذا عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ. قال: لقد رأيته بعدما قُتِلَ رُفعَ إلى السماء، حتى إني لأنظر إلى السماءِ بينه وبين الأرضِ، ثم وُضِع، فأتى النبيَّ ﷺ خبرُهم فذكرَهم، فقال: «**إنَّ أصحابكم قد أصيبوا، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربَّنا أخبرْ عنا إخواننا بما رضينا عنك ورضيتَ عنا فأخبرهم عنهم**».

فزتُ وربِّ الكعبة:

وروى الواقديُّ: أنَّ الذي قتلَ عامرَ بنَ فهيرةَ جَبّارُ بن سُلمى الكلابي قال: ولما طعنهُ بالرمحِ قال: فزتُ وربِّ الكعبةِ. ثم سأل جبار بعد ذلك: ما معنى قولِهِ (فزتُ وربِّ الكعبة)؟ قالوا: يعني فازَ بالجنة. فقالَ: صدقَ والله. ثم أسلمَ جبار بعد ذلك بسببِ هذهِ الحادثة.

وفي «مغازي موسى بنِ عقبة» عن عروة أنه قال: لم يوجدْ جسد عامرِ بنِ فهيرة، يرونَ أنَّ الملائكةَ وارتْهُ. وكانَ أبو براءٍ عامرُ بنُ مالكِ بنِ جعفرٍ مُلاعبُ الأسنةِ قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ بالمدينةِ، فعرضَ الرسولُ ﷺ عليهِ الإسلامَ ، ودعاه إليهِ، فلم يُسلِم ولم يَبْعُد، وقال: يا محمدُ لو بعثتَ رجالًا من أصحابكَ إلى أهلِ نجدٍ يدعونَهم إلى أمرك، رجوتُ أن يستجيبوا لك.

فقال ﷺ: «**إني أخشى عليهمُ أهلَ نجدٍ**». فقالَ أبو براءٍ. أنا لهم جار.

فبعث رسولُ الله ﷺ المنذرَ بن عمر أخا بني ساعدةَ وكانوا سبعينَ رجلًا.

فيهمُ الحارثُ بنُ الصِّمَّةَ، وحرامُ بنُ مِلحانَ، وعروةُ بنُ أسماءَ، ونافعُ بنُ بُديلِ بنِ ورقاءَ، وعامرُ بن فهيرةَ ، في رجالٍ من خيارِ المسلمين، فساروا حتى نزلوا بئرَ معونةَ، وهي بين أرض بني عامرٍ وحَرَّة بني سُلَيم، فلما نزلوا بعثوا حرامَ بنَ ملحانَ بكتابِ رسولِ الله ﷺ إلى عدوِّ الله عامرِ بنِ الطُّفَيْلِ، فلما أتاه لم ينظرْ في الكتاب حتى عدا على الرجل

فقتله، ثم استصرخَ عليهم بني عامرٍ فأبَوْا أن يجيبوا إلى ما دعاهم، وقالوا: لن نُخفِر أبا براءٍ، وقد عقدَ لهم عَقدًا وجوارًا فاستصرخ عليهم قبائلَ من بني سُليم عُصَيَّةَ ورِعل وذكوانَ والقارةَ، فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غَشَوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القومَ حتى قُتلوا عن آخرهم إلا كعبَ بنَ زيدٍ فإنهم تركوه وبه رمق، فحُمل بين القتلى فعاشَ حتى قُتل يومَ الخندق.

نسورُ السماء
تدلُّ على قتلى بئرِ معونةَ

وكان بينَ أشجار المنطقة عمرُو بنُ أميةَ الضَّمريُّ، ورجلٌ من الأنصارِ من بني عمروِ بنِ عوف...

فلم ينبئْهما بمصاب القوم إلا الطيرُ تحومُ حولَ العسكرِ، فقالا: واللهِ إنَّ لهذه الطيرِ لشأنًا، فأقبلا ينظران، فإذا القومُ في دمائهم وإذا الخيل التي أصابتهم واقفةٌ، فقال الأنصاريُّ لعمروِ بن أميةَ: ماذا ترى؟

فقال: أرى أن نلحقَ برسولِ الله ﷺ فنخبرَه الخبر.

فقال الأنصاري: لكنني لم أكن أرغبُ بنفسي عن موطنٍ قُتل فيه المنذرُ بنُ عمروٍ، فقاتل القوم حتى قُتل، وأُخذَ عمروٌ أسيرًا، فلما أخبرهم أنه من مضرَ أطلقه عامرُ بنُ الطفيلِ وجزَّ ناصيته وأعتقه.

قتيلان:

وخرج عمرُو بنُ أميةَ، حتى إذا كان بالقرقرةِ من صدرِ قناةٍ، وهو وادٍ من أوديةِ المدينةِ أقبلَ رجلانِ من بني عامرٍ حتى نزلا في ظلٍّ هو فيه، وكان مع العامريَّيْن عهدٌ من رسولِ الله ﷺ وجوارٌ لم يعلمْه عمرُو بنُ أميةَ، وقد سألهما حين نزلا: ممنْ أنتما؟ قالا: من بني عامرٍ، فعدا عليهما فقتلهما، وهو يرى أنه أصاب بهما ثأرًا من بني عامرٍ فيما أصابوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

* * *

الدعاء على الكفار القتلة

فلما قَدِمَ عمرُو بنُ أميةَ على رسولِ الله ﷺ أخبره بالخبرِ، فقال رسول الله ﷺ «**لقد قتلتَ قتلينِ لأَدينَّهما**»(1).

ثم قال رسول الله ﷺ: «**هذا عمل أبي براء، قد كنت لهذا كارهًا متخوفًا**» وظلَّ رسولُ الله ﷺ يدعو على رعلٍ وذكوان وبني لحيان شهرًا، يقنتُ ويدعو عليهمْ في صلاةِ الصبح.

الشعر في المعركة:

قالَ حسانُ بنُ ثابتٍ ﷺ في إخفارِ عامرٍ أبا براء، ويحرض بني أبي براءٍ على عامر:

بني أمِّ البنينَ ألمْ يُرعْكم وأنتمْ من ذوائبِ أهلِ نجد
تهكُّمُ عامرٍ بأبي براءٍ ليُخفِرَهُ وما خطأٌ كعمد
ألا أبلِغْ ربيعةَ ذا المساعي فما أحدثتَ في الحَدَثان بعدي
أبوكَ أبو الحروب أبو براءٍ وخالُك ماجدُ حكمُ بنُ سعد

فحمل ربيعةُ بنُ عامر بنِ مالكٍ على عامرِ بن الطفيلِ فطعنه في فخذه فوقع عن ظهر فرسه، وقال: هذا عمل أبي براء، ثم مات على ظهر فرسه.

---

(1) أدفع عنهما الدية، وهي مال يدفع لأهل القتيل.

وقال حسان ﷺ يبكي قتلى بئر معونة:

علـــى قتلـــى معونـــةَ فاســـتهلّي   بـــدمع العـــين ســـحًّا غـــيرَ نَـــزْر

علـــى خيـــلِ الرســـولِ غـــداة   لاقـــوا ولاقـــتهم منـــاياهم بقـــدر

كأن الشيخ قد تلجلج صوته ثم صمت.

رفع الأطفال أنظارهم فإذا دموع الشيخ على خديه، ولما رفع رأسه ورأى دموع الأطفال مسح دموعه.

* * *

إن هذا الأمر دين

ثم التفت إلى ابنه عبد الرحمن، وقال: يا ولدي إنَّ هذا الأمرَ دين، وقد أصبحتَ اليوم قارئًا تتلو آياتِ اللهِ بترتيل وخشوع.

لقد عرفتَ أنتَ وعرفتمْ أنتمْ قصةَ القُرّاءِ الذين ضَحَّوا في سبيلِ هذا الدينِ حتى وصل إلينا.

عبد الرحمن: أتأذن لي يا أبي في الكلام؟

الأب: قل يا بني، بارك الله فيك وفي كل أبناء المسلمين.

عبد الرحمن: عرفت الآن يا أبي لماذا ندعو في الصلاة على اليهودِ والنصارى والمنافقين ومن ساعدَهم، فهذه سُنَّةُ رسولِ الله ﷺ لأنه كان يدعو على من قَتَل قُراء بئرِ معونة.

الأب: باركَ الله فيك يا ولدي، لقد بذلَ الصحابةُ الكرامُ دماءَهم الطاهرةَ الزكيةَ الغاليةَ العطرةَ في سبيلِ هذا الدين، فلنعرف قيمتَهُ في نفوسنا، وليكنْ أَغلى علينا من أرواحنا وأموالنا وأوقاتنا وراحتِنا حتى نستطيعَ أن نعيشَهُ في أنفسنا وفي حياتِنا كما عاشَ في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ، وحتى ننقلَه إلى أجيالنا القادمة بإذن الله كما نقله إلينا أجدادُنا قبلَنا، ولله دَرُّ الشاعر حين يقول:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلَهم إن التشبُّه بالكرام فلاح

فرضي الله عن شهداءِ بئرِ معونةَ وجعلَ دماءهم نورًا للأمة الإسلامية تضيء لهم الطريقَ إلى يومِ الدين، وكل قارئ يجب أن يتذكر قراءَ بئر معونة.

وقد قام ﷺ بغزو بني النضير بسبب الديتين اللذَين قتلهما عمرٌو في أحداثِ بئر معونة.

سلامٌ على أهل بئر معونة في الخالدين.

* * *